



كيف نحمي مجتمعاتنا من خطر الخرافة؟



تنتشر في مجتمعاتنا المحافظة والمتديّنة بعض الخرافات الملتبسة بالدين والتي تهدد نسيج المجتمع وروابطه الأسريّة فضلا عن إخلالها بالمنظومة الفكرية وفتح المجال لحالة من الاضطراب والقلق النفسي والمعرفي.

من الكلمات التي تشيع اليوم دون علم دقيق ولا حصانة كافية والتي لها انعكاس خطير في حياة الناس (الحسد، والعين، والمس، والسحر)، وهي كلها مصطلحات شرعية من حيث الأصل، لكن طريقة تعاطي الناس معها أخذت منحى آخر بعيدا عن مقاصد الشرع.

حدّرتنا الإسلام من الحسد لأنه خلق ذميم بنفسه، وخطير بآثاره، والحسد إنما هو تمّيّ زوال النعمة عن الغير، وقد يظهر هذا التمّيّ بإشارات الكلام أو محاولة الانتقاص من المقابل أو بعداوة لا مسوّغ لها ومحاولة الإضرار لا لذنب ارتكبه المقابل، فهذه كلها داخلة في باب (الخُلق السيء)، ولا شك أن هذا يكدّر صفو العلاقات ويثير الخصومات والعداوات، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه البخاري.

فالدين إذاً وضع الحسد في إطاره الأخلاقي، بمعنى أنه خلق مذموم يؤدّي إلى التباغض والتدابير ويفكك عرى الأخوة الإيمانيّة، هذا هو منطوق الحديث وهذا هو سياقه.

إلا أن الخرافة جنحت بالحسد من مفهومه الأخلاقي إلى مفهوم آخر لا يمت إلى المفهوم الأول بصلة، فصار الناس إذا أصابتهم مصيبة حتى لو حدث سيارة أو مرض طارئ أو رسوب في الامتحان تذكروا الحسد والحاسدين، واستعرضوا قائمة الأقرباء والأصدقاء لينتقوا منهم ذلك الذي كان السبب في هذه المصيبة! وقد يتبيّن لهم بالشواهد والقرائن أن هناك أكثر من شخص، كلهم قد تمالثوا وتعاونوا.

وإذا كانت القرائن لا تكفي فهناك بعض (الشيوخ) الذي يعتقد العامة فيهم أنهم ربما يعلمون الغيب، وهذا يكفي منه كلمة واحدة أن يقول لصاحب المصيبة (أنت محسود)! هنا لا يُسأل الشيخ عن مصدره في هذه المعلومة، لأنها ستجد طريقها إلى القلب دون تردد أو استئذان، فالطالب لم يرسب بسبب إهماله بل لأنه محسود، والحادث لم يحصل بسبب تجاوز السرعة والانشغال بالجوال، بل بسبب الحسد.. وهكذا.

إن الخوف من الحسد أو من الاتهام بالحسد جعل الناس تتدابروا وتتقاطع، فكان مؤدّي ذلك مخالفا لنص حديث البخاري (ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا)، كما أنه متضمن لسوء الظنّ بالمؤمنين وهو مخالف أيضا لصدر الحديث (إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث)، فانظر كيف سلبت الخرافة مدلول الحديث، وعكست تأثيره تماما، فأصبح الخوف من الحسد أشدّ من الحسد نفسه.

ثم هناك مخاطر لا تقل عما تقدّم، فالمجتمع الذي يعلّق كل إشكالاته وإخفاقاته على عين الحاسد متى يتاح له أن يراجع نفسه وأن يتعلم من أخطائه وأن يهتدي لمفاتيح الحل والأخذ بأسباب النجاح؟

